بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[1].

والبحثُ في الآية المباركة في عدّة مطالب:

المطلبُ الأوّل: ما هو الوجه في تّنكير لفظ الهُدى حيثُ لَمْ يقل: أولئك على الهُدى مِّن رَّبِّهِمْ، وإنّما قال سبحانه وتعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}**؟

إنّ الوجه في ذلك: هو الإشارةُ إلى أنّ لدى المتقين نوعاً خاصاً مِن الهُدى متميزاً على غيره مِن أنواع الهداية، ولو أنّ الآية المباركة استخدمت اللفظ المُعرّف فقالت: أولئك على الهُدى مِّن رَّبِّهِمْ لكان المنصرف مِن هذا التعبير أنّ المتقين ممن نالوا الهداية؛ لظهور المُعرّف في الجنس، أي: جنس الهداية المُنطبق على أيِّ درجةٍ مِن درجاتِ الهداية.

نظير أنْ يُقال: أُولئِك على العِلم، أي: أنّهم على درجةٍ مِن درجات العِلم، بخلاف ما إذا استخدم اللفظ المنكر فقال: أُولئِك على عِلم؛ فإنّ ظاهر التّنكير أنّهم على نوعٍ مِن العِلم، وذلك النوع نوعٌ معهودٌ أو متميزٌ عن غيره.

كذلك في المقام، لو قال: أُولئِك على الهُدى، لكان ظاهراً في الجنس وأنّهم نالوا الهدى مِن رَّبِّهِمْ، ولكنه حيثُ استخدم اللفظ النكرة فقال تعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}** كان المنصرفُ مِنه أنّهم على نوعٍ خاص مِن الهُدى وهو النوع الذي يميزهم عن هداية الآخرين.

وإنّما كان المنصرف مِن التنكير النوع المتميزَ لا نوعاً معهوداً ولا طبيعي الهدى.

إنّ الآية المباركة واردةٌ في مقام المدح والثناء، وبما أنّها واردةٌ في مقام المدح والثناء فلفظُ التّنكير يكون ظاهراً في نوعٍ خاص مِن الهداية وهو النوع المتميز، وإلّا فكونهم ممن نال هدايةً ما ليس ميزة تستحق الثناء.

---

[1] سورة البقرة، 5.

نعم، لو كانت الآيات في سياق الإخبار – لا في سياق المدح والثناء – لَمْ يكن فرقٌ بين التّنكير والتّعريف، لكن لأنّها في سياق المدح والثناء كان التعبير بالتّنكير أبلغ مِن التّعريف؛ فإنّ التعبير بالنكرة يشيرُ إلى نوعٍ متميزٍ مِن الهداية ينسجمُ مع مقام المدح والثناء الذي جاءت الآياتُ في سياقه.

المطلبُ الثاني: ما هو الوجه في إضافة الهُدى للرّب حيثُ قال تعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}**؟

إنّ الوجه في الإضافة هو الإرشادُ إلى أنّ الهُدى صنفان: صنفٍ اكتسابي، وصنفٍ تفضلي وهو عبارةٌ عن المدد والتوفيق مِن الله تبارك وتعالى لقسمٍ مِن الناس الذين يرى الله سبحانه وتعالى أهليتهم لأنْ يكونوا قدوةً للآخرين.

بمعنى: أنّه لو أنّ الله عزّ وجلّ وهب هذه الدرجة مِن الهداية لغيرهم لَمْ يكن وضعُ الهداية حينئذٍ منسجماً مع الحكمة؛ لعدم أهلية غيرهم لأنْ يكونوا في مقام القُدوة والأُسوة، بينما وَضَعَ الهدايةَ بمعنى المدد والتوفيق في هذا الصنف مِن الناس لعلمه أنّ هدايتهم ستكونُ هدايةً لغيرهم؛ لأنّهم في مقام القُدوة والأُسوة هو عين الحكمة.

وقد تعرض القرآن الكريم لهذين الصنفين مِن الهُدى بقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**[2]، فالجهاد هو طلب للهداية، وطلب الهداية نوعٌ مِن الهداية الاكتسابية، والهدايةُ في الجزاء المتفرع على الجهاد هي عبارةٌ عن الهداية التفضلية لمن هو أهلٌ لها، كما في قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}**[3] للإشارة إلى النوعين مِن الهداية.

كما أنّه سبحانه وتعالى أشار في بعض الآيات إلى أنّ غرس الهداية في بعض العباد ليس تفضلاً محضاً بل لأنّ غرس الهداية فيهم هدايةٌ لغيرهم كما في قوله تبارك وتعالى: **{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}**[4] أي: إنّما هَداهُم الله تعالى لأنّ هدايتم منارٌ لهدايةِ غيرهم، وقال تبارك وتعالى: **{أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ}**[5].

---

[2] سورة العنكبوت، 69.

[3] سورة الكهف، 13.

[4] سورة الأنعام، 90.

[5] سورة يونس، 35.

المطلبُ الثالث: ما هو الوجه في التعبير عن مصدر الهداية بوصف الربوبية، حيثُ قال تبارك وتعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}** ولَمْ يقل: على هُدى مِّن خالقهم أو إلههم، بل قال: **{عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}**؟

إنّ الوجه في ذلك: هو الإشارةُ إلى أنّ ربوبيته سبحانه وتعالى التي هي عبارةٌ عن قيموميته على تدبير الكون كُلّه لا تنحصر بإدارة عالم المادة بل إنّ ربوبيته كما تشملُ عالم المادة – أي: عالم الأجسام – فإنّها تشمل عالم الأرواح أيضاً، وقد ذكر القرآن الكريم كلا القسمين مِن الربوبية بقوله تبارك وتعالى: **{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}**[6]، فهناك ربوبية بلحاظ عالم الأجسام وربوبية بلحاظ عالم الأرواح.

وقال تبارك وتعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}**[7] إشارة إلى ربوبيته بلحاظ عالم الأجساد، وقوله تعالى: **{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}**[8] إشارة إلى ربوبيته بلحاظ عالم الأرواح.

المطلبُ الرابع: إنّ الملاحظ في القرآن الكريم هو التنوع في التعبير تارةً بـ "على" وتارةً بـ "في"، فعندما يتحدثُ عن أصحاب الهُدى يعبر بـ "على"، وحينما يتحدثُ عن أصحاب الضلال يعبر بـ "في"، كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}**[9]، وقوله تبارك وتعالى: **{وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}**[10]، ولَمْ يقُل في الآيتين: على ضلالٍ مُّبينٍ.

فما هو السر في التنوع في التعبير؟

إنّ المغزى مِن ذلك هو الإشارةُ إلى أنّ مَن تلبس بالهداية فهو على ثباتٍ واستقرارٍ وسيطرةٍ على أعصابه وجوانحه ودواخله ومخارجه، وهو المعبر عنه بكلمة "على" فقال سبحانه وتعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}**.

---

[6] سورة البلد، 8 – 10.

[7] سورة الشمس، 7.

[8] سورة الشمس، 8.

[9] سورة سبأ، 24.

[10] سورة الأحقاف، 32.

كما ترشد لذلك عدّة آياتٍ، منها:

1 – قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ}[11].

2 – قوله سبحانه: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ}[12].

3 – قوله عزّ وجلّ: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ}[13].

4 – قوله جلّ ثناؤه: {وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ}[14].

وأمّا التعبير بـ "في" فهو للإشارة إلى أنّ التلبس بالضلال يعني سيطرة الضلال على العقل وليس العكس، فهو في حالِ تيهٍ وضياعٍ وانغماسٍ في الضلال، كما ينغمسُ الإنسانُ في الطين والوحل، أي: لأنّهم أُسراء لشهواتهم وغرائزهم فهم منغمسون فيها لا مسيطرون عليها كأصحاب الهُدى.

كما ترشد لذلك عدّة آياتٍ، منها:

1 – قول الله تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}[15].

2 – وقوله عزّ وجلّ: {هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[16].

3 – وقوله سبحانه: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[17].

4 – وقوله جلّ ثناؤه: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}[18].

المطلبُ الخامس: إنّ الملاحظ في المقطع المبارك مِن الآيات الكريمة وهي قوله تبارك وتعالى: {الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى

---

[11] سورة العلق، 11.

[12] سورة الزمر، 22.

[13] سورة التوبة، 109.

[14] سورة الحج، 67.

[15] سورة إبراهيم، 3.

[16] سورة لقمان، 11.

[17] سورة مريم، 38.

[18] سورة القمر، 47.

مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[19] أنّ القرآن قد عبر بـ "الهدى" في موردين، ففي الآية الثانية مِن السورة قال: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** وفي الآية الخامسة منها قال: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى}**.

فما هو الفرق بين الهداية في البدء والهداية في الختم؟

يمكن أنْ يُقال: إنّ الفارق بين الموردين – مورد البدء ومورد الختم – يتضح من وجهين:

الوجهُ الأوّل: أنّ الهداية في المورد الأوّل وصفٌ للعلاقة بين القرآن الكريم والمتقين بقوله سبحانه وتعالى: **{ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** أي: أنّ علاقة القرآن الكريم بالمتقين ليست علاقة عِلم واكتساب محض بل علاقةُ تأثير وتأثر، فعلاقةُ القرآن الكريم بالمتقين علاقةُ إفاضةٍ للهداية الروحية التي يستقيها المتقون مِن نفحات القرآن الكريم كما قال الله تبارك وتعالى في آيةٍ أُخرى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}**[20].

بينما الهداية التي ذكرتْ في الخاتمة بقوله سبحانه وتعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}** لبيان أنّ جميع المعالم السّلوكيّة وهي التي أشار إليها بقوله تعالى: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**، والمعالم الاعتقاديّة التي أشار إليها بقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** مَبدؤُها هو الهدايةُ الرَّبانيَّة، أي: لولا أنّهم على هُدى مِّن رَّبِّهِمْ لما كانوا **{يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**، وما كانوا **{يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**، فكلّ ما مضى من المعالم ناشئٌ عن هدايةٍ مِّن رَّبِّهم.

الوجهُ الثاني: إنّ ذكر الهداية مرتين للإشارة إلى النوعين مِن الهداية – اللذين سبق ذكرهما – مِن أنّ الهُدى صنفان: صنفٍ اكتسابي، وصنفٍ تفضلي.

أمّا الصنف الأوّل من الهداية وهو الاكتسابي فهو ما يُستفاد مِن المعارف القرآنية؛ لذلك قال: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** أي: أنّ المتقين يكتسبون الهداية مِن المعارف القرآنية، وهذا ما أخبر عنه تعالى بقوله: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**[21]، فإنّ تدبر القرآن الكريم هدايةٌ اكتسابية.

---

[19] سورة البقرة، 1 – 5.

[20] سورة النحل، 89.

[21] سورة محمد، 24.

وأمّا الصنف الثاني مِن الهداية وهو التفضلية فقد أشار له تبارك وتعالى في قوله: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}**، والهداية التفضلية عبارةٌ عن النور الذي يهبه الله للخاصة مِن عباده كما هو المستفاد مِن قوله سبحانه وتعالى: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}**[22].

المطلبُ السادس: ما هو وجه تكرار اسم الإشارة في قوله تعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**، أَ لَمْ يكن بالإمكان أنْ يقول: أُولئِك على هُدى مِّن رَّبِّهم وهم المفلحون؟

والجوابُ عن ذلك: أنّ الآية المكرمة أرادتْ بيان أنّ نعمة القُرب مِن الله عزّ وجلّ هي أعظمُ نعمةٍ على الإنسان، وأنّ هذا القُرب نوعان: قُربٍ عبادي وهو القُرب في الدُنيا، وقُربٍ علمي وهو القُرب في الآخِرة.

فالقربُ العبادي الذي هو في الدُنيا هو ما عبر عنه تعالى بقوله: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}**[23]، وهذا ما أشار إليه باسم الإشارة الأوّل في قوله تعالى: **{أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}**.

وأمّا القُرب العلمي في الآخِرة فهو قرب المقام ودرجة الرضوان، فإنّ المؤمنين صنفان:

الأوّل: مَن يشتاقُ للآخرة لأنّه يشتاق إلى الراحة المستمرة واللذة المادية.

الثاني: مَن يشتاق إلى الآخِرة لأنّه يشتاقُ إلى القُرب العلمي بأنْ يصل إلى الله عزّ وجلّ وصولاً علمياً.

وهذا النوع الثاني مِن القُرب هو الذي أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تبارك وتعالى: **{فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}**[24]، إذ مِن المعلوم أنّ النبيين والصديقين (صلوات الله عليهم) ليسوا أهل لذة جسدية وإنّما هم أهلُ قُربٍ علمي مِن الله تبارك وتعالى، فمن كان معهم كان في هذا النسق مِن القُرب مِن الله عزّ وجلّ، قال تبارك

---

[22] سورة النور، 35.

[23] سورة المؤمنون، 1 – 4.

[24] سورة النساء، 69.

وتعالى: **{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ}**[25] وأهلُ الرضوان هم أهلُ القُرب العلمي مِن الله تبارك وتعالى، ولهذا فقد استخدم اسم الإشارة الأوّل لبيان القُرب العبادي في الدُنيا واستخدم اسم الإشارة الثاني لبيان القُرب العلمي في الآخِرة بقوله تعالى: **{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**.

المطلبُ السابع: ما هو الوجه في استخدام الضمير (هم)، حيثُ قال: **{أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**، ولَمْ يقُل: وأُولئِك المفلحون بلا حاجة إلى الضمير؟

والملاحظ أنّ القرآن الكريم يستخدم ذلك في عدّة آياتٍ، منها – مثلاً – قوله تبارك وتعالى: **{أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**[26]، ولَمْ يقُل: أُولئِك كالأنعام بل أضل أُولئِك الغافلون، وهذا الضمير يعبر عنه في النحو في مدرسة الكوفيين بـ "العماد" أي: أنّ الفصل بين المُسند والمُسند إليه بضمير العماد يوجب التأكيد، فقوله: **{أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}** لتأكيد اتصافهم بالغفلة، وقوله: **{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** لتأكيد اتصافهم بالفلاح.

المطلبُ الثامن: في تحليل معنى الفلاح في القرآن الكريم.

لقد تكرر ذِكرُ الفلاح في القرآن الكريم مما يُرشدُ إلى أنّه الهدفُ الرّباني الأسمى، في عدّة آيات، منها:

1 – قال تبارك وتعالى: **{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[27].

2 – وقال سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[28].

3 – وقال عزّ وجلّ: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[29].

4 – وقال تبارك وتعالى: **{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[30].

---

[25] سورة الحديد، 20.

[26] سورة الأعراف، 179.

[27] سورة البقرة، 189.

[28] سورة آل عمران، 130.

[29] سورة آل عمران، 200.

[30] سورة الحشر، 9.

5–وقال سبحانه وتعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}**[31].

6–وقال عزّ وجلّ: **{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}**[32].

وقد ورد عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في التفسير المنسوب إليه: (49– **قال (عليه السلام): ثمّ أخبر الله جلّ جلاله عن هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الشريفة، فقال: {أُولَئِكَ _ أهل هذه الصفات _ عَلَىٰ هُدًى} بيان وصواب {مِّن رَّبِّهِمْ _ وعلم بما أمرهم به _ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الناجون ممّا منه يُوجلون، الفائزون بما يؤملون**)[33].

والبحث حول عنوان "الفلاح" في جهاتٍ ثلاث:

الجهةُ الأُولى: في تحديد المعنى اللغوي للفلاح.

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: (**الفَلْحُ: الشّقّ، وقيل: الحديد بالحديد يُفْلَحُ، أي: يشقّ. والفَلَّاحُ: الأكَّار لذلك، والفَلَاحُ: الظَّفَرُ وإدراك بغية**)[34].

ولكن قد يتأمل في كلام الراغب بالقول: إنّه لا يطلقُ الفَلْح على كلِّ شّقّ، فلو شّقّ إنسانٌ بطن إنسانٍ لا يُقال: فَلَحَ بطنه، ولا يُقال لقطع الخشب: فَلَحَ الخشب، بل الفَلْح نوعٌ خاص مِن الشّقّ وهو الشّقّ الذي يترتب عليه النمو والإنتاج – لا كلّ شّقّ –، ولذلك يعبر عن المزارع بأنّهُ فَلَّاح لأنّ المزارع يقوم بحرث الأرض وشّقّ أنهارها لا لمجرّد الشّقّ بل لأنّ هذا الشّقّ طريقٌ إلى أنّ تظهر الأرض بركاتها وخيراتها.

وأيضاً ورد عن النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) في الأذان والإقامة: (**حي على الفلاح**) للإشارة إلى أنّ الصلاة هي أعظمُ نعمةٍ يفلح بها المؤمنون، كما قال تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}**[35].

الجهةُ الثانية: في الفرق بين الفلاح والنجاح.

---

[31] سورة المؤمنون، 1.

[32] سورة الشمس، 9 – 10.

[33] التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمدٍ الحسن بن عليٍّ العسكري (عليهم السلام)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة الثانية المحقّقة والمستدرك عليها، ص99.

[34] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ج1، ص644.

[35] سورة المؤمنون، 1 – 2.

إنّ التعبير العرفي لمن يظفر بشيء أنْ يُقال: نجحَ وأفلحَ، فما هو الفرقُ بينهما مع أنّ كليهما ظفرٌ بالمطلوب؟

إنّ الفرق بينهما هو: أنّ الفلاح هو الظفر بالخير المستمر، بينما النجاح هو الظفر بالمطلوب ولو كان شراً، فلو أنّ عدواً كادَ لإنسانٍ مكيدة ومكر لهُ مكراً ثمّ حقّق مكيدته لقيل: نَجَحَ في كيده ومكره؛ لأنّ النجاح هو مطلق الظفر بالمطلوب، أو أنّ الإنسان ظفرَ بخيرٍ لكنه خير مؤقت وعابر كمن ينجح في بعض الاختبارات ويخفق في بعض الاختبارات الأُخرى فهو قد نَجَحَ لكنه لَمْ يفلح، بل الفلاحُ هو الظفر بما كان خيراً عاما مستمراً، ولأجّل أنّ الفلاح هو الظفرُ بالخيرِ المستمر لذلك قال تبارك وتعالى: **{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**.

الجهةُ الثالثة: حقيقة الفلاح بالوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

إنّ المستفاد مِن مجموع الآيات القرآنية المُتعرضة للفلاح أنّ حقيقة الفلاح بالوصول إلى الله تبارك وتعالى، لا بالوصول إلى المال ولا بالوصول إلى الجاه أو أيِّ شيءٍ آخر، بل بالوصول إلى الله تبارك وتعالى؛ فإنّ الهدف والغاية التي مِن أجلها وُجد الإنسان هو أنْ يكون الإنسانُ أكملَ الناس عملاً، قال تبارك وتعالى: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}**[36]، فإنّ هذا هو الهدف مِن وجود الإنسان، وبما أنّ الهدف أنْ يكون الإنسانُ أحسنَ الناسِ عملاً فإنّه لا محالة يفتقرُ إلى طريقٍ، والطريق للوصول إلى هذه الغاية هو العبادة؛ لذلك قال سبحانه وتعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**[37]، لا لموضوعيةٍ في العبادة؛ بل لأنّها الطريق إلى كون الإنسانُ أحسنَ الناسِ عملاً.

أو فقل: إنّ الهدف مِن الخلق هو العبادة كما هو ظاهر الآية المباركة، والعبادة هي في حد ذاتها الوجود الأكمل والأحسن لكونها القرب من الله سبحانه.

وبعبارةٍ ثالثة: إنّ الغاية والهدفُ مِن وجود الإنسان هو وصوله إلى الكمال الحقيقي، والكمالُ الحقيقي هو: **(البقاءُ بلا فناء، والعزُ بلا ذُلّ، والغنى بلا فقر، والعلمُ بلا جهل)**، ولا يتحقق هذا إلّا في

---

[36] سورة الملك، 1 – 2.

[37] سورة الذاريات، 56.

الآخِرة، فالإنسانُ مهما حاولَ في الدنيا أنْ يصل إلى أنْ يجمع الأركان الأربعة للكمال وهي: البقاءُ والغنى والعزُ والعلمُ فإنّها لا تجتمع، ولو اجتمعتْ فإنّها تجتمع بنسبٍ ناقصة.

وبما أنّها لا تجتمع إلّا في الآخِرة فالكمالُ الحقيقي في الآخِرة، والكمال الحقيقي الذي هو في الآخِرة هو الفلاح الذي يكرره القرآن الكريم بقوله تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}**[38]، وقوله سبحانه: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[39]، وقوله عزّ وجلّ: **{فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[40] أي: فأُولئِك الذين حصلوا على الكمال الحقيقي بأركانه الأربعة:

1 – **بقاء بلا فناء**، كما يُستفادُ مِن قوله تعالى: **{وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**[41].

2 – **وغنى بلا فقر**، كما يُستفادُ مِن قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**[42].

3 – **وعز بلا ذلّ**، كما يُستفادُ مِن قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}**[43].

4 – **وعلم بلا جهل**، وهو المشارُ إليه بقوله تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**[44]، وقوله تبارك وتعالى: **{عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}**[45].

والحمد لله رب العالمين

---

38 سورة المؤمنون، 1.

39 سورة البقرة، 189.

40 سورة الحشر، 9.

41 سورة الرحمن، 27.

42 سورة فاطر، 15.

43 سورة المنافقون، 8.

44 سورة فاطر، 28.

45 سورة العلق، 5.